رشيد العناني: تمثيل العرب للغرب.. لقاءات الشرق والغرب في الرواية العربية

رحلة قرنين من الكتابة العربية في البحث عن الغرب المخادع من الإعجاب الى النقمة الى نقد الذات

ابراهيم درويش*

■ في كتابه الصادر حديثايعيد الباحث والاكاديمي المصري رشيد العناني، المحاضر في جامعة اكستر، اشكالية العلاقة بين الغرب والشرق وعالم العرب واوروبا الى العرب انفسهم، ففي الماضي ازدهرت الكتابات التي حاولت وبتأثير من كتاب ادوراد سعيد الرائد «الاستشراق» البحث عن صورة الشرق في المخيلة، الكتابة والصورة الاوروبية التي تلونت بعدد من الالوان والظلال، ولكن ما جمع بينها هي ما اسماه رؤية سعيد «انثنة» الشرق الذي خلقه الغرب لكي يعرف نفسه، واثار مسألة اخرى تتعلق بعلاقة الاستشراق بالمعرفة والسلطة/ الاستعمار وغير ذلك واقام نظاما مفهوميا وتبريرا ثقافيا لاستعمار الشرق.

في المقابل يرى رشيد العناني ان الطريقة التي تعامل فيها العرب مع الغرب تميزت بثنائية تجمع بين الحب والكراهية، الخوف والاعجاب، كان الغرب مستغلا ومانحا، كان ملجأ وتهديدا، وعلى خلاف نظرائهم الغربيين على الاقل الذين درسهم سعيد فقد اظهر المثقفون العرب موقفا عقلانيا من الغرب وموقفاً اعجب بما وصل اليه الاوروبيون. ولكن ما يميز التجربة العربية في انها تجربة حملت في اطارها فكرة الاضداد وهذا يعود الى العلاقة الصاخبة والمرة التي حكمت عالمي الشرق والغرب. وفي الوقت الذي يؤرخ فيه مؤرخون النهضة العربية بعام 1798 التي ارخت لوصول اول قوات نابليون بونابرت، فكما يشير مؤرخ الحملة الفرنسية عبد الرحمن الجبرتي فان المصريين، على الاقل المثقفون منهم تعاملوا مع نابليون بونابرت كحاكم مختلف، ثقافيا وعرقيا. فرق الجبرتي بين الفرنسيين كجيش غاز او مستعمر واطلق على جنودهم الذين دخلوا الجامع الازهر بانهم جند الشيطان ولكنه لم يخف اعجابه بالجديد الذي جلبوه معهم، العلم التنظيم والنظام القضائي.... ويعتقد العناني ان موقف المثقف العربي الحذر الحائر من الغرب لا يزال حاضرا في كتابات المثقفين العرب اليوم. ويشير الى بطل ثلاثية نجيب محفوظ كمال الذي كان يهتف ضد الانكليز نهارا اثناء المظاهرات، وفي الليل كان يقرأ كتابات الفلاسفة والمفكرين الاوروبيين وهي الحيرة التي وصفها كمال بقوله ان قلبه كان يشتعل بالثورة ضد الانكليز وفي الليل كان يشعر بقوة الرابطة الانسانية (مع الانكليز) التي تدعو للتعاون في وجه لغز القدر الانساني. الاشكالية التي واجهها المثقفون العرب منذ اللقاء الاول مع الغرب أي أوروبا هي انه الداء والدواء. كما ان طبيعة المواجهة او اللقاء مع الغرب تلونت بعدد من الافكار والتوجهات، فهي تميزت فيما يعرف اليوم بتاريخ النهضة العربية بردود الفعل للقاء الذي كان لقاء مزدوجا مع الحداثة/ نابليون وعلمائه والباحثين الذين جلبهم معه، و الاستعمار، الجيش/ دخول الازهر والبعد السياسي للحملة.

طبعا هناك الكثير الذي قيل عن داوعي الحملة الفرنسية، ودور العلماء الفرنسيين في تشكيل وعي المثقفين العرب/ المصريين في ذلك الوقت عن الغرب، كمفهوم ومجموعة من النظم الفكرية. وحتى ربط الحداثة العربية بحملة نابليون لها من ينتقدها. كما ان فكرة الحداثة في اطارها العربي والفكري ظلت محطا للتجادل بين مؤرخي الافكار، فهي وان تمت في اطار اوروبي «داخلي» وعلى مراحل شكلت فيما بعد التراكم التاريخي للتجربة الا انها في السياق العربي المسلم كانت عملية «زراعة» لجسد غريب في داخل الجسد الاسلامي العربي ولهذا ظلت معظم التجارب الحداثية، من محمد علي باشا، مرورا بمرحلة التحديث التي قامت بها دول مثل ايران وتركيا، وتونس، ودول ما بعد الاستعمار في الوطن العربي اما محطا للرفض او محكومة بالفشل. جزء من الجدال حول الحداثة في المحيط الاسلامي، كان حول الهوية، فقدانها او ذوبانها في التجربة الاوروبية، مقاومتها، رفضها او التقوقع حول الذات، وهو ما شكل حركات الاصلاح، الدينية والعلمانية، اذ اننا نقف امام عدد من ردود فعل، واحدة تدعو للجهاد، كما بدا في حركات المقاومة للاستعمار، التي قادتها الحركات الصوفية عموما، والمثقفين الاسلاميين المحافظين، وتلك الداعية الى التماهي مع الغرب وقبوله بل الاندماج بالتجربة كلها او بعبارات طه حسين الشهيرة التي اريق الكثير من الحبر حولها «حلوها ومرها»، لكن دعوات طه حسين في كتابه الشهير «مستقبل الثقافة في مصر» انطلقت من فكرة «سياقية» مصر في المدار المتوسطي واثر الثقافة الاغريقية على العقل المصري، وبين هاتين الوجهتين، الرافضة والداعية بالقبول تميز تيار الاصلاح الاسلامي بقيادة محمد عبده قبل ان يتحول للسلفية بمعناها الضيق، والداعي الى ردم الهوة بين الفكر الاسلامي والحداثة الاوروبية. هذا الاطار الفكري، الذي تحول الى معركة بين السلفية والحداثة، وبين الليبيرالية والمحافظة، والعلمانية والاسلامية، وغيرها من الاسماء اسهمت في تشكيل الطريقة التي تعامل فيها النص الادبي مع الغرب، فقد انطلق مبدعو النهضة وما بعدها من هذه الابعاد وقدموا اضاءات ابداعية عن الغرب كصورة ومفهوم وليس بالضرورة جغرافيا تعنى بالوصف وتعداد المظاهر الجديدة في الحياة الغربية. ورشيد العناني الواعي بهذه التطورات، معني بالدرجة الاولى لتسجيل ورصد الطريقة التي تم فيها اللقاء الشرقي مع الغرب او الاسلوب الذي استخدمه الكاتب المشرقي لتحديد ملامح الرؤية التي بدأت بالاندهاش، الخوف، الى حالة الثقة بالذات وهي التي ارتبطت بحمى الهوية القومية وتأكيد الذات وانتهت بجلد الذات، الخيبة والاحباط. ويرصد الكاتب هنا عددا من الاتجاهات في الرواية العربية او الاعمال شبه الروائية، المذكرات، اليوميات والانطباعات، حيث يلاحظ درجة عالية من التوتر والتشعب، والتعدد في مناظير الرؤية بين الكتاب العرب، ويتوصل العناني في رصده لرؤية العربي/ المشرقي للغرب لسياقات اربع، وهي مرحلة ما قبل الاستعمار، اي المواجهة الاولى التي اتسمت بالاندهاش والخوف، اما الثانية فهي مرحلة الاستعمار التي تميزت بالشجب والاعجاب بالثقافة الغربية، ومرحلة ما بعد الاستعمار التي اتسمت بإطارين، الاول الثقة بالذات، وثانيا مرحلة الاحباط والخيبة والعودة للذات، كما تمظهر في اعمال كتاب مرحلة ما بعد هزيمة 1967. ويجد العناني في تحليله للكم الروائي الهائل، مع الاخذ بعين الاعتبار ان الاعجاب والشجب، تم هذه المرة من خلال وسيط ابداعي «غربي» وهي الرواية التي دخلت للثقافة العربية من الغرب، واللافت للانتباه ان العرب وان فشلوا في تحقيق الحداثة المادية والفكرية الا ان الميدان الحقيقي الذي اثرت فيه الحداثة على الوعي العربي كان الادب، الذي تطور من خلال رفضه للاشكال الادبية القديمة، وبعد ان حاول اصلاح او تحديث الاساليب القديمة، لجأ الاديب او المبدع العربي للانفصال كليا عن القيود الادبية القديمة، مثلا اوزان الخليل، والمضي قدما في كسر قيود القديم والبحث عن اشكال جديدة من التعبير. لتحديد الطريقة التي تعامل فيها المبدع العربي مع الغرب، قام العناني بدراسة او مسح واسع لتراث يمتد من نهاية القرن الثامن عشر، مرورا بالقرن التاسع عشر واخيرا العشرين، حيث حاول قراءة النتاج الادبي بعين مفتوحة على الارضية الفكرية او منظومة الافكار التي شكلت رؤية الكاتب او الكاتبة للقاء مع الغرب، او المواجهة في معناها العام.

اللافت للانتباه ان الرؤى الثلاث او ردود الفعل لا تزال محلا للسجال والتجادل بين مفكري القرن الحادي والعشرين كما كانت في القرون الماضية، نرفض، نتبع، او ننتقي. ومن هنا فرشيد العناني يقوم بدراسة مضادة للاستشراق بالمفهوم السعيدي، ويعكسه على الاستغراب العربي، حيث يلاحظ نفس الاستراتيجيات، خاصة انثنة الغرب كما فعل الاستشراق، وهو ما حدث في كتابات المرحلة الاستعمارية او كتابات الروائيين العرب عن تجاربهم في اوروبا، والتي تميزت عادة بعلاقة بين الذكر الشرقي، والانثى الغربية، وكل من الطرفين محمل بعدد من النمطيات والحمولات الثقافية، فالعربي غالبا ما يحمل في داخله انجذابا نحو المرأة الغربية ولكنه انجذاب يشوبه الحذر والترقب، في المقابل فالانثى الغربية، غالبا ما تكون الفاعل والمبادر، والقائد.

في داخل تحليل العناني نعثر اذن على ست مواجهات تبدأ من عبد الرحمن الجبرتي مؤلف «كتاب الاعتبار في الترجمة والاثار»، وخير الدين التونسي «اقوم المسالك في معرفة الممالك»، والطهطاوي «تلخيص الابريز في الرحلة لباريز»، واحمد فارس الشدياق «كشف المخبا عن فنون اوروبا» من بين عدد من الكتب الاخرى له، ونقولا الترك، وفرانسيس مراش «رحلة باريس» وعلي مبارك «عالم دين»، ومحمد بيرم التونسي «صفوة الاعتبار». ويلاحظ ان كتابات هؤلاء اذا موضعت في السياق العثماني فانها على الرغم من الاندهاش بالغرب وانجازاته فقد وضعت الشرق المليء بالعلل والامراض والتخلف امام التقدم الاوروبي، وكلها باستثناء الشدياق المعروف بسخريته كانت تنظر للغرب كنموذج جدير بالاتباع. هذه النظرة ستتبدل بعد ان وقعت الدول العربية رهنا للاستعمار او بعبارات المفكر الفلسطيني هشام شرابي فاوروبا صار ينظر اليها من خلال فكرة الاستعمار وليس عبر منظور انجازاتها الثقافية والفكرية.

المواجهة/ اللقاء الثاني تمت عبر عدسة الاستعمار، وهنا نلاحظ صورة اخرى محكومة طبعا بالتجربة الاستعمارية القاسية وتوزع المثقف العربي بين اعجابه بكل ما هو غربي، وخوفه، وحيرته بين التماهي بكل ما هو اوروبي، وشجبه للاستعمار، ويظلل العناني هنا ما قدمه الكاتب المصري المعروف يوسف ادريس حول تشوشه وغموض موقفه من الاوروبي، حيث كان وبناء على ما شاهده في الاسماعيلية والاسكندرية وبورسعيد التي انعكس الاطار الحداثي الاوروبي في معمارها، يرغب بانه يكون اوروبيا قلبا وقالبا، ولكنه كان يرغب بان يكون اوروبيا دون التخلي عن عروبته، وهنا يتحدث ادريس عن حالة التشوش التي كان يعيشها بين حلمه الاوروبي وهتافه في المظاهرات ضد الاستعمار. في هذا السياق يعثر العناني على جملة من الملامح التي طبعت اعمال كتاب مرحلة الاستعمار، والتي قامت بتحليل او تقديم الغرب في اعمالها من محمد المويلحي الذي اعتبر الغربي ليس كاملا، وجديرا بالاتباع، وحاول اعادة الثقة بالذات للشرقي. ويحلل العناني عددا من الاعمال التأسيسية في الادب العربي عما صار يعرف بالتجربة الاوروبية، خاصة اعمال توفيق الحكيم «عصفور من الشرق» و «عودة الروح»، ورواية يحيى حقي «قنديل ام هاشم»، وقبلهما اعمال جرجي زيدان، ومحمد حسين هيكل، كما حلل الكاتب ايضا اعمال طه حسين، واحمد امين، لويس عوض، سهيل ادريس، ذو النون ايوب وشكيب الجابري. في اعمال هذا الجيل، حلت النقمة، والتشوش محل الاعجاب، ولم تعد النظرة تبسيطية كما بدت في الاعمال الاولى. في كتابات ما بعد المرحلة الاستعمارية نتقدم نحو المواجهة/ اللقاء الثالث، وهي المواجهة التي تحمل في طياتها نوعا من الثقة بالنفس، وابتعدت الكتابات عن محاولات الكتاب العرب مثل توفيق الحكيم الذي حاول بناء رؤية مختلفة عن الغرب عبر تقديم الشرق كمجال للروح والدين والاخلاق، مقابل الغرب المادي. وهنا بدت الذات/ العربية في موقع متساو ومقابل قادر على التعبير عن نفسه امام الاخر الغربي، ويقدم العناني في هذا السياق تحليلا واسعا لاعمال يوسف ادريس، والطيب الصالح «موسم الهجرة الى الشمال» التي يرى انها عمل اكبر او اوسع كونها عن العلاقة بين الشرق والغرب والشمال والجنوب او صدام الحضارات ولكنها تدور في مدارات اوسع.

لكن الاحساس بالثقة سرعان ما تغير لتقديم رؤية متواضعة عن النفس، حيث بدأ الكاتب العربي بالعودة لتقييم الذات، ولم تعد الثيمات الاولى عن اللقاء الجنسي، او الغرب المتعفن، المادي الذي يقف على نقيض الطهارة والعفة، والروحية والرومانسية الشرقية. وفي هذا الاطار يفحص العناني عددا من الاعمال لتوفيق فياض «اصوات» وحنا مينا وياسين رفاعية وعبد الحكيم قاسم، وخيري الذهبي وبهاء طاهر، ومحمد ابراهيم الفقيه ومحمد ابي سمرا وفؤاد اليازجي.. في هذه الاعمال نعثر على جانب يعمل على التفريق بين الغرب المستعمر، والغرب في منظومته العلمية والفكرية. وهنا تحضر عبارات جبرا ابراهيم جبرا التي اقتبسها العناني في بداية كتابه من ان العرب ارادوا اللحاق بركب الحداثة الاوروبية، الا ان الغرب كان مهتما بالمستعمرات، والسوق ومحاور التأثير.

يخصص العناني مساحة لقراءة رؤية الكتاب العرب لامريكا : امين الريحاني وميخائيل نعيمة ومحمود تيمور وفيليب حتي ورضوى عاشور وليلى أبو سيف وسيد قطب الذي كتب انطباعاته عن امريكا التي تحتفل بالقوة البدائية.

اللقاء السادس والاخير هو نظرة الانثى العربية، خاصة اللواتي عشن في الغرب، حيث يقوم برصد الطريقة التي تعاملت فيها المرأة العربية مع صورة الغرب، والتي جاءت متأثرة بحس المنفى والاقامة في الغرب. ويلحظ في كتابات الكاتبة العربية نوعا من التصالح مع الغرب، وفي بعض الاحيان نزعة للمثالية، والاعجاب بقيمه. ولكن كتابة المرأة العربية لم تكن منزوعة عن السياق التاريخي الذي تعيشه، فكاتبات مثل غادة السمان وحنان الشيخ كتبن في ظل الاحساس بالهزيمة التي عاشها العالم العربي، وعندما فشل الحكام العرب في مرحلة ما بعد الاستعمار في تأكيد رؤية عن الكرامة والحرية لمواطنيهم، كتبن في ظل التشتت العربي والهجرة في بلاد الغرب بحثا عن فرصة عمل وحرية. ويقدم العناني في هذا السياق كتابات كوليت خوري وأهداف سويف وليلى ابي العلا، اضافة للشيخ والسمان.

قدم العناني في هذه الدراسة المسحية، البانوراما والتحليلية في نفس الوقت مئتي عمل لخمسين كاتبا وكاتبة عربية والمثير في كتابات الكتاب العرب عن الغرب انهم لم يقوموا في جل انتاجهم الروائي وشبه الروائي بنزع الانسانية عن الغربي كما حدث في الكتابات الاستشراقية. كما ان الكاتب الذي يجنح للتفريق بين معاداة الغرب ومعاداة التغريب يرى ان المواجهة او اللقاء بين العالمين لم تكن لقاء قام على اختلاف في المفاهيم والمناظير ولكنها مواجهة حكمتها المصلحة. والكتابة العربية عن الغرب التي بدأت بالاعجاب ومن ثم النقمة وبعدها الاحباط هي رحلة في البحث عن النموذج الغربي. والغريب ان القارئ يقرأ كتاب العناني في ظل ما يحدث في لبنان ودماره، والعراق وانتهاك تاريخه وسكانه وفلسطين وانكار حقوق سكانها وعمليات قتلهم ودفعهم نحو البحر، ويشعر وهو يقرأ تجارب العرب في الغرب التي ظلت تبحث عن طرق لاستلهام النموذج الغربي، وتكييفه او تمثيله في الحياة الشرقية، يلاحظ ان اجيالا من الكتاب العرب ربما خانهم الغرب، وادار ظهره لهم ولكنهم ظلوا يبحثون عن هذا الغرب المخاتل. جيل التغريب العربي بعيدا عن الظلال السياسية التي قد يحملها هذا التعريب، نشأ وهو يحب الثقافة الغربية ويبحث عنها، ولكنه انتهى اما محبطا او متخليا عن بحثه. وهو الجيل الذي اطلقت عليه اهداف سويف جيل «ميتزتيرا»، الجيل الوسط، وهو الجيل او تلك الاجيال التي احتفى بها العناني وحللها. ويبقى السؤال المطروح، ليس عن فكرة البحث ولكن عن جدوى البحث، فاستمرار الغرب في سياساته ادى الى سحب البساط من تحت اقدام جيل الوسط، التنوير، او الاعتدال، .. وادى لنشوء نزعة الفصام الكامل مع الغرب. وهو ما نشاهده اليوم ولهيب الدخان والنار التي تحرق بيروت، رمز التغريب والتنوير في العالم العربي.

رشيد العناني: استاذ الادب العربي الحديث في جامعة اكستر، ويهتم بكل ما يتعلق بالادب العربي الحديث شعرا ونثرا ونقدا. يعتبر من المتخصصين في ادب نجيب محفوظ حيث كتب عنه بالانكليزية، واهم كتبه هي «نجيب محفوظ: في البحث عن معنى»، وترجم رواية محفوظ «السيد المحترم».

رشيد العناني

غلاف الكتاب

الكتاب:

Arab Representation of the Occident
East -West Encounters in Arabic Fiction
Rasheed El-Enany
Routledge
London/2006

رسالة الى مُنظّر سياسي امريكي حول العدوان الاسرائيلي على لبنان

نحن بحاجة الى مفكرين يشيدون جسوراً بين الشعوب لا الى عسكر يدمرونها!

د. علي القاسمي*

■ (منذ أن بدأ العدوان الاسرائيلي الوحشي على لبنان، والكاتب العراقي المقيم في المغرب علي القاسمي ما فتئ يوجّه رسائل عبر البريد الالكتروني الى أصدقائه ومعارفه في أوروبا وأمريكا شارحاً لهم الوضع. وفيما يلي ترجمة رسالة وجهها الى الكاتب السياسي الأمريكي اليهودي الدكتور جشوا مورافشيك، أبرز منظّري المحافظين الجدد ومؤلف كتاب «تصدير الديمقراطية» وكتاب «الجنة على الأرض: بزوغ الاشتراكية وأفولها» وغيرهما، والذي تُنشر مقالاته أسبوعياً في أشهر الصحف الأمريكية مثل «نيويورك تايمز» و«وول ستريت جيرنل»، وهو باحث مقيم في معهد المشروع الأمريكي «امريكان انتربرايز انستيتيوت بواشنطن»، الذي تعتمد الادارة الأمريكية الحالية دراساته في كثير من سياساتها الشرق أوسطية).

عزيزي جشوا

قبل دقائق كنتُ أشاهد على التلفزيون سيدة عجوزاً اسرائيلية تبكي بيتها في حيفا، فغمرني شعور بالألم والأسى مثل شعوري وأنا أشاهد الفلسطينيات واللبنانيات الثكالى والمفجوعات؛ ذلك لأنني أعتقد صادقاً أن الناس جميعاً ـ على اختلاف أعراقهم وأديانهم وألوانهم ـ نظراء في الخَلق، وأخوة في الانسانية، ويشتركون في المشاعر والأحاسيس البشرية ذاتها.

وجاشت نفسي ـ وأنا أشاهد التلفزيون ـ بأفكار وهواجس أردت أن أُشركك بها، لأنك مفكّر سياسي أمريكي؛ وغاية المفكّر المخلص هي ايجاد الحلول العادلة للمشاكل السياسية من أجل الحدّ من المعاناة الانسانية وتوفير المتطلّبات اللازمة للعيش بسلام واطمئنان ما يؤدي الى تحسين الظروف المعيشية وترقية الحياة.

منذ اقامة اسرائيل قبل 58 عاماً، وجميع شعوب المنطقة تعاني من ويلات الصراع، بمن في ذلك الاسرائيليون الذين ـ اضافة الى خساراتهم بالأرواح ـ لا يشعرون بالأمان والاطمئنان، ولن يشعروا بهما ما لم يوجد حل عادل للقضية الفلسطينية.

واسمح لي بأن ألقي باللائمة على الادارات الأمريكية المتعاقبة (وخاصة الجمهورية منها) وعلى المفكرين السياسيين من أمثالك الذين تتخذ الادارة الأمريكية من دراساتهم وبحوثهم أساساً لسياساتها في الشرق الأوسط. فهذه الادارة لم تسعَ بجدّ ـ خلال نصف قرن من الصراع ـ الى ايجاد حلّ جذري عادل للقضية الفلسطينية. بل، على العكس، شجّعت الادارةُ الأمريكية المتطرفين الاسرائيليين (وليس أنصار السلام الاسرائيليين) على التمادي في احتلال أراض عربية أوسع، وتهجير أصحابها لبناء مزيد من المستوطنات، واستخدمت حق الفيتو منفردة مراراً في مجلس الأمن الدولي للحيلولة دون اتخاذ قرارات عادلة أو تنفيذ قرارات سابقة لحل النزاع.

وماذا كانت النتيجة؟ لنأخذ مثالين:

1ـ احتلت اسرائيل جنوب لبنان حوالي عشرين عاماً، وبعد خسائر فادحة في الأرواح في أوساط الاسرائيليين واللبنانيين معاً، قررت الحكومة الاسرائيلية الانسحاب سنة 2000 (طبعاً بناء على دراسات الباحثين الأمريكيين والاسرائيليين). ولكنها انسحبت واحتفظت بأسرى لبنانيين، وتركت خلفها حوالي مئتي ألف لاجئ فلسطيني في مخيّمات في جنوب لبنان دون وضع حدّ لمأساتهم.

2ـ احتلت اسرائيل غزة حوالي أربعين عاماً. وبعد تضحيات كبيرة في الأرواح البشرية الاسرائيلية والفلسطينية، قررت الحكومة الاسرائيلية سنة 2005 الانسحاب من غزة، وذاق آلاف المستوطنين الاسرائيليين مرارة فقدان منازلهم كالفلسطينيين الذين اغتُصبت منهم الأراضي التي شُيّدت عليها تلك المنازل (طبعاً كان الانسحاب بناء على دراسات كذلك تشجّع اسرائيل على ترك غزّة ذات الكثافة السكانية والاحتفاظ بما تريد من أراضي الضفة الغربية وبناء جدران عازلة). ولكن هل أنهى الانسحاب الاسرائيلي العنف؟ طبعاً لا، لأن الاسرائيليين احتفظوا بعشرة الاف أسير فلسطيني، وتركوا خلفهم بنية تحتية مدمرة وعشرات الآلاف من اللاجئين الفلسطينيين في ظروف مؤلمة لا تتفق والكرامة الانسانية.

العبرة واضحة: لن تنفع الجدران التي تسجن اسرائيل نفسها بها، ولن ينفع الدمار الذي تنزله الآلة الحربية الاسرائيلية بالشعوب العربية لتخويفها واسكاتها، ولن تنفع الخطط الأمريكية لتقسيم الأقطار العربية واضعافها. فلن يعود الأمن والطمأنينة للاسرائيليين ما لم تنسحب اسرائيل من جميع الأراضي العربية المحتلة وتُحلّ القضية الفلسطينية بصورة عادلة دائمة طبقاً للشرعية الدولية. فالحلول الترقيعية المؤقتة لا تجدي فتيلاً، والتبسيطات الحالية التي تؤدي الى تعقيدات مستقبلية لا تُعدّ سهولة حقيقية. والأمة العربية ليست قبائل الهنود الحمر، وأنت تعلم أن المقارنة غير جائزة في التاريخ.

ولا بدّ أن الباحثين السياسيين الأمريكيين ورجال الادارة الأمريكية يعرفون تلك الحقيقة وتعزز معرفتَهم تجاربُ أكثر من نصف قرن، فلماذا الاستمرار في المجازر والدمار؟ يراودني هاجسان آمل أنهما خاطئان:

1ـ اما أن بعض رجال الادارة الأمريكية لهم حقد دفين على الاسرائيليين والعرب معاً، فلا يساعدونهم على حل القضية لاستمرار معاناتهم،

2ـ أو أن الادارة الأمريكية تُبقي المشكلة قائمة لعرقلة استقرار المنطقة والحيلولة دون تنميتها، من أجل المحافظة على تفوق الغرب ورفاهيته على حساب الشعوب النامية. (وردَ ما يدعم هذا الرأي في المحادثة التي جرت بين مارغريت ثاتشر رئيسة وزراء بريطانيا والرئيس السوفييتي غورباتشيف، وذكرها الأخير في كتابه «برسترويكا»، وكذلك في كتاب الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون «نصر بلا حرب»).

عزيزي جشوا،

طلبتَ مني قبل مدة أن أقترح عليك بعض الكتب عن الاسلام لقراءتها (وأنا أعرف موقفك الايجابي من الاسلام، وترجمتُك مقالاً في الموضوع). واليوم وبمناسبة تدمير لبنان وقتل المدنيين، أود أن أقترح عليك كتاب «الحرب والسلام في شريعة الاسلام» المنشور في أمريكا للدكتور مجيد خدوري وهو عراقي مسيحي كان أستاذا في جامعة جون هوبكنز الأمريكية. ستجد فيه أن الشريعة تحرّم على المقاتلين أن يؤذوا طفلاً أو امرأة أو شيخاً، أو يقلعوا شجرة، أو يدمروا منزلاً، أو يغتصبوا أرضاً أو مالاً، أو يتعرضوا للرهبان في صوامعهم.

وأخيراً، يؤسفني، يا جشوا، أن التاريخ سيذكر أن الشعب الأمريكي الذي حقّق تقدّماً علمياً كبيراً وابتكر تكنولوجيات باهرة، صنعت حكوماته المتعاقبة أكبر عدد من القنابل الذرية والنووية، وأنها أهدرت ايرادات ضخمة على التصنيع العسكري، وخلّقت أكبر دمار حول العالم، ودعمت المتطرفين في حليفتها الاستراتيجية، اسرائيل، لقتل أكبر عدد من المدنيين، وتدمير أضخم عدد من المنازل والمدارس والمستشفيات ودور العبادة، وجرّفت أوسع مساحات من المزارع والبساتين.

اننا بحاجة الى مفكّرين مخلصين يشيّدون الجسور بين الشعوب، لا الى عسكريين متغطرسين ينسفون جميع الجسور والطرقات.

* كاتب عراقي

ندوة موسعة بالمجلس الأعلى للثقافة حول مئوية حادث «دنشواي»

القاهرة ـ «القدس العربي»:

اقام المجلس الأعلى للثقافة ندوة موسعة تحت عنوان «دنشواي صفحات من الذاكرة» وقد شارك في افتتاح الندوة الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة جابر عصفور، وصابر عرب رئيس هيئة دار الكتب، وعبدالعظيم رمضان مقرر لجنة التاريخ وعبدالمنعم شحاتة عميد كلية الآداب بجامعة المنوفية.

توزعت الندوة بين جلستين ترأس الأولى الدكتور أحمد زكريا الشلق، وتحدث فيها الدكتور علي بركات حول الكلام المصري في ظل الاحتلال البريطاني حتى عام 1906 والدكتور محمد عبدالرحمن برج الذي تحدث تحت عنوان «في الذكرى المئوية لدنشواي».

وتناول الدكتور حلمي عبدالعال شلبي عن دنشواي وصعود الحركة الوطنية المصرية، أما الجلسة الثانية فترأسها الدكتور جمال زكريا قاسم، وتحدث فيها الدكتور محمد علي حلة عن اثر دنشواي على العلاقات المصرية البريطانية، والدكتور حمادة اسماعيل عن دنشواي في البرلمان الانكليزي وتحدث الكاتب صلاح عيسى تحت عنوان «دنشواي في الصحافة المصرية والأجنبية»، وتحدث الشاعر عبدالرحمن الأبنودي عن دنشواي في الضمير الشعبي.